

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السابع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين؛ نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

[الحديث الخامس عشر]

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أنزلوا الناس منازلهم» رواه أبو داود.

هذا الحديث حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حديث عظيم في بيان ما يدعو إليه ديننا الحنيف من الحكمة التي هي وضع الأمور مواضعها وإنزالها منازلها، وهذا من كمال هذا الدين وجماله، وقد ذكر المصنف رحمه الله أن الحديث رواه أبو داود في «سننه»، وهو في «سنن أبي داود»، لكن أبا داود رحمه الله أعله بالانقطاع بين عائشة رضي الله عنها ومن يروي عنها.

ومن أهل العلم من حسن الحديث ببعض الشواهد، ومنهم من ضعفه؛ لكن معناه صحيح، ويشهد لصحة معناه دلائل كثيرة، وشواهد عديدة من أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وسيأتي معنا شيئاً منها، ومن يطالع هدي النبي ﷺ يجد فيه الدعوة إلى هذا الأمر، من هديه تطبيقاً، ومن قوله صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من حكمة الإسلام وجماله وحسنه؛ أن تراعى منازل الناس، وأن تعرف أقدارهم، وأن يعطى كل ذي حق حقه، فليست الحقوق التي يدعو إليها الإسلام متساوية في حق الجميع؛ بل إن للمنزلة اعتباراً في نوع الحق وإنزال الشخص من حيث إعطاؤه حقوقه المنزلة التي هو عليها أو تليق به.

ولهذا نجد الإسلام جعل للأُم حقاً خاصاً تنزل في منزلتها التي يُعرف بها فضلها وقدرها وعظيم جهدها وكبير إحسانها، ولهذا كانت أحق الناس بحسن المصاحبة، ولما سأل رجل النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، وهذا من هذه القاعدة مراعاة الحقوق، ومعرفة أحوال الناس، وإعطاء كل ذي حق منهم حقه على ضوء قدره ومنزلته ومكانته ونبله وفضله وإحسانه وسابقته، كل هذه لها وزنها واعتبارها.

ومن هذا القبيل ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا المقسط، والحاكم العدل»، قال: «إن من إجلال الله فهو لاء لهم مكانة خاصة، كبير السن له منزلته وله حقوق خاصة لكبر سنّه، ولهذا أيضاً جاء في الحديث أن النبي

ﷺ قال: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا» وفي بعض رواياته «ويعرف لعالمنا حقّه» فهذا كله من هذا القبيل من إنزال الناس منازلهم.

ولهذا نجد الشريعة تراعي منازل الناس وأقدارهم من جهة ما لهم من حقوق، فالأم لها حق، والأب له حق، والأبناء لهم حق، والزوجة لها حق، والجيران لهم حق، والعلماء لهم حق، والمحسن له حق، وهكذا، كلّ له حقوقه على ضوء منزلته، فالمنازل معتبرة، ولا يُسوَّى الناس في الحقوق، فليس ما للأم من حق لكل أحد.

ولهذا قسم العلماء الحقوق إلى حقوق خاصة - حقوق عامة:

الحقوق الخاصة: هذه يراعى فيها اعتبارات المنازل بحسب خصوصية الإنسان أو مكانته أو منزلته. وهناك حقوق عامة: لعموم المسلمين.

وكلّ هذا ينبغي أن يعتبر فيه إنزال الناس منازلهم؛ توقير الكبير، ورحمة الصغير.

لاحظ إنزال الناس منازلهم، فالكبير يوقر ويحترم ويعرف له كبره وقدره، والصغير يرحم ويعطف عليه ويتودّد إليه ويحسن في معاملته، فليس الحقّ الذي للكبير مماثلاً للحقّ الذي للصغير. وهكذا في عموم أقدار الناس ومنازلهم الشريعة تراعي ذلك، فمعنى الحديث حقّ لا ريب فيه، ولا ريب في صحته وحسنه وجماله، وشواهد وبراهين صحّة معناه كثيرة «أنزلوا الناس منازلهم» فالشريعة تدعو إلى اعتبار أقدار الناس وما لهم من حقوق وإعطاء كل ذي حقّ حقه، وهذا من جمال هذا الدين وحسنه وبهائه.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضارّ، ضار الله به، ومن شاقّ، شاق الله عليه» رواه الترمذي وابن ماجه.

... هذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه حديث عظيم، وهو من كمال هذا الدين وجماله وحسنه، والحديث قد تضمّن أصلين عظيمين تشهد لهما شواهد كثيرة وبراهين عديدة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. أمّا الأصل الأوّل: فهو أن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يُدان، فإن أحسن جزاؤه الإحسان، وإن أساء فجزاؤه العقوبة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة] أي: من خير في الأول، ومن شرّ في الثاني، فالجزاء من جنس العمل، وهذا من كمال

هذه الشريعة، وكما يدين المرء يُدان، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] جزاء من جنس عمله، وقال الله تعالى في الإساءة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَىٰ﴾ [الروم: ١٠]، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا] فالإحسان عاقبته الإحسان، والإساءة عاقبتها السُّوْءَى، وهذه القاعدة مضطردة في الشريعة الجزاء من جنس العمل، قال: «**من ضار** **ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه**» هذا في الإساءة، وفي الإحسان قال في الحديث الآخر: «من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، فالإحسان جزاء الإحسان، والإساءة جزاؤها السُّوْءَى والعاقبة السيئة على قدر إساءته، وهذا من كمال فضل الله وكمال عدله، كمال فضله مع المُحسنين، وكمال عدله مع الخاطئين المقصّرين.

قال: «**من ضارَّ ضار الله به**» أي: من ألحق الضرر بغيره سواءً بتعطيل المصلحة وتفويتها على صاحبها أو بإتلاف منفعة وإفسادها على صاحبها، فالمُضَارَّةُ بتفويت المصالح أو بالإتلاف وإضاعة الحقوق والجناية على الممتلكات، كلُّ هذا من المضارَّة «**فمن ضار ضار الله به**».

وكذلك «**من شاق**»، شاق على غيره وألحق بغيره العنت والمشقة فإن جزاءه من جنس عمله، وقد مدح الله ﷻ عليه الصلاة والسلام ببعده عما يُعنت الناس ويشق عليهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة]، وأتباعه ينهجون نهجه، ويقتفون أثره، ويسيروا على منواله صلوات الله وسلامه عليه.

فهذا الأصل الأول: أن الجزاء من جنس العمل، وشواهد هذا الأصل وبراهينه في القرآن والسنة لا حصر لها ولا عد، وإذا علم ذلك المسلم وتبصره وأدركه على حقيقته فإنه يكون في غاية الحيطة وتمام الحذر بعدم الوقوع في الإساءات أيًا كان نوعها؛ لأن عاقبة السيئة السُّوْءَى، وفي الوقت نفسه يكون حريصًا غاية الحرص على الخيرات ووجوه المنافع المتنوعة يرجو فضل الله تبارك وتعالى وإحسانه ومنه وإكرامه.

أمَّا الأصل الثاني: الذي يدلُّ عليه هذا الحديث وهو قاعدة من قواعد الشريعة، قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وهو نصُّ حديث آخر ثابت عن النبي ﷺ قال فيه: «لا ضرر ولا ضرار»، فالضرر إلحاقه بالآخرين أيًا كان نوعه في من لا يستحقه محرماً شرعاً، ومن قواعد الشريعة دفع الضرر قبل وقوعه ورفع بعد وقوعه، وهذا من كمال هذا الدين وجماله، فليس فيه مضارة، وليس فيه إضرار بالآخرين، وليس فيه ظلم ولا عدوان، ولهذا تحت هذه القاعدة يدخل من أبواب الفقه ما لا حصر له، ممَّا يدل على أن دين الله تبارك

وتعالى وما تدعو إليه شريعة الإسلام ليس فيه ضرر بالآخرين؛ بل فيه المنع من ذلك ودفعه قبل أن يقع ورفعته إذا وقع، ولهذا حَرَّمَ الإسلامُ الغش، وحرم النَجَش، وحرم بيع الرجل على بيع أخيه، وحَرَّمَ تلقي الركبان، وحرم الربا، وحرم الغرر، وحَرَّمَ بيع حبل الحبلَة، وحَرَّمَ بيعًا كثيرة بهذه القاعدة، لهذه القاعدة؛ لأن فيها ضرر إما بالبائع، أو بالمشتري، كذلك بيع الملامسة والمناذرة، وغير ذلك من البيوع التي منع الإسلام منها ونهى عنها كُلُّه لأجل هذه القاعدة العظيمة من قواعد الشريعة (رفع الضرر، ودفع الضرر)، وهذا من كمال هذا الدين وجماله، والحديث شاهد لهذه القاعدة، قال: **«من ضار، ضار الله به»** إذا كان نهج الإنسان المضارة بالآخرين.

والحديث فيه دلالة على أن ما اكتسبه الإنسان من مال على وجه المضارة بالآخرين فيما نهت الشريعة عنه من بيع ومعاملات، فمن اكتسب مالاً من هذه... والحديث دليل على انتزاع البركة من مال من كان ماله من هذه الطرق وبهذه الوسائل على حساب الآخرين والإضرار بهم والتعدي على حقوقهم والتغريب بهم ومخادعتهم وأكل مالهم بالباطل، وغير ذلك من أنواع المضارة.

فإذا كان تحصيل الإنسان للمال من هذه الوجوه فإن ماله منزع البركة، ودلالة الحديث على انتزاع البركة من مال من كان هذا سبيل تحصيل ماله ظاهرة؛ لأن النبي ﷺ قال: **«من ضار ضار الله به»** فمن كان تحصيل ماله على وجه المضارة بالآخرين ضار الله به، ومن ضار الله به فإن الخير والبركة عنه ترحل، والشر والفساد عليه يقبل؛ لأن هذا مقتضى ذلك، فمن ضار الله به ترحل عنه الخير وترحلت عنه البركة، وأقبل عليه الشر والفساد، وهذا جزاءً وفاقاً ومعاملةً له بنقيض قصده.

ولهذا لا يكون في ماله عليه بركة؛ بل يكون ماله وبالأعلى عليه وحسرة في الدنيا والآخرة؛ لأنه مأل قائم على المضارة والتعدي على حقوق الآخرين، وأخذ أموالهم بالباطل، فجزاء من كان كذلك من جنس عمله، جزاءً وفاقاً عدلاً من الله تبارك وتعالى.

والحديث فيه دلالة على أن من يشتغل بالتجارة والبيوع واكتساب المال عليه أن يتقي الله جل وعلا في أموال الناس، وأن يحذر غاية الحذر أن يكون اكتسابه للمال ولو كان قليلاً أو يسيراً من غير وجهه، أو بمضارة بالناس، بغش، أو بكذب، أو بمخادعة، أو غير ذلك من الوجوه التي جاء النهي عنها لما فيها من الإضرار بالناس.

وهذا الأصل العظيم دفع الضرر ورفع له لو عمل به الناس لسلموا من الشرور والظلم والتعديات وأكل

الأموال بالباطل وكل ما يقع من وجوه وتجاوزات وتعدي في المعاملات والبيوع ونحو ذلك كله من إهمال هذه القاعدة وإنزال هذا الأصل العظيم الذي دعا إليه دين الله تبارك وتعالى، كما أن الحديث يدل أيضًا على فائدة عظيمة في حق من كان بعيدًا عن المضاربة بالناس في أموالهم وحقوقهم وممتلكاتهم متنزهًا عن ذلك متورعًا عنه يخشى الله ويخاف عقابه ولا يتعدى على حقوق الناس.

فالحديث يدل على أن الله ﷻ يبارك له في ماله قليله وكثيره؛ لأن ماله دخل عليه من وجوه لا مضاربة فيها.

والحديث فيه أن «من ضار ضار الله به»؛ ومفهومه أن من تجنب الضرر خوفًا من الله وخشية عقابه ومراعاةً لحقوق عباد الله تبارك وتعالى أن يبارك الله ﷻ له في ماله وفيما آتاه، ويكون بركة عليه، وهذا أيضًا مبني على القاعدة نفسها أن الجزاء من جنس العمل، جزاء الإساءة الشؤى، وجزاء الحسنة الإحسان.

قال: «من ضار ضار الله به، ومن شاق شق الله عليه» وهذا أيضًا أصل مهم جدًا دل عليه هذا الحديث؛ وهو أن «من شاق» يعني كان سبيله في التعامل مع الناس إلحاق المشقة عليهم سواء بالقول أو بالفعل أو بغير ذلك من وجوه إلحاق المشقة على الآخرين فإنه يجازى من جنس عمله، وبالمقابل من كان يميل إلى الرفق بالناس والإحسان إليهم والشفقة والعطف وتقديم المعونة والإحسان والتيسير وإعانة المحتاجين وغير ذلك يكون الله ﷻ في عونته، وكما يكون الإنسان لعباد الله يكون الله له إن إحسانًا وإحسان، وإن إساءة وإساءة وعقوبة.

الحديث السابع عشر

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الإمام أحمد والترمذي.

ثم أورد المصنف رحمته الله هذا الحديث، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وهو كذلك مروي عن معاذ بن جبل، والنووي رحمته الله أورده في «الأربعين» عن معاذ بن جبل، وهو مروي عن معاذ وعن أبي ذر رضي الله عنهما، قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» والحديث عظيم في معناه، وجزالة ألفاظه، وجمال دلالاته، واحتوائه على الخير.

ومع وجازة الحديث فإنه قد اشتمل على أصول المعاملة مع الله كيف تكون، ومع النفس كيف تكون،

ومع عباد الله كيف تكون، فالحديث اشتمل بأجمل ما يكون من عبارة وأجزل ما يكون من لفظ على أصول المعاملة، وبدأ بأعظم ما يكون من ذلك في المعاملة مع الله جل وعلا قال: **(اتق الله حيثما كنت)** أي أين ما تكون وفي أي مكان تحل وفي أي ديار تنزل اتق الله؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يراك أين ما تكون ولا تخفى عليه سبحانه خافية في الأرض ولا في السماء.

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

... **(اتق الله حيثما كنت)**؛ لأنك أينما تكون فالله يراك، ويطلع عليه، ويعلم بحالك، ويرى حركاتك، وسكناتك، وقيامك، وقعودك، ويسمع كلامك، فهو سَمِيعٌ عَلِيمٌ لا تخفى عليه خافية، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، سمعه محيط بالأصوات كلها، وهو جل وعلا عليم بكل شيء؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويرى الله سُبْحَانَهُ كل شيء.

وإذا تأمل المسلم في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، وما تدل عليه من عظمة الله وجلاله وكماله وكمال اطلاعه وإحاطته وكمال علمه وشمول قدرته فإن ذلك يؤثر فيه تقوى ومراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال بعض السلف: "من كان بالله أعرف، كان منه أخوف" فخوف الله وتقواه ومراقبته فرغ عن معرفته جل وعلا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وعلى هذا فإن من أصول أو أصل المعاملة مع الله عَزَّوَجَلَّ تقواه جل وعلا أين ما كان الإنسان؛ لأنه أين ما كان فالله يراه ويطلع عليه ويسمع كلامه، يسمع كلامه؛ ما أعظم سمع الله جل وعلا، يقول عليه الصلاة والسلام في حديث أبي ذر وهو في «الأربعين» في الحديث الطويل وهو حديث قدسي طويل يقول الله: «ويا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» والحديث واضح الدلالة على أن الله عَزَّوَجَلَّ لو قام الخلق من زمن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إنسهم وجنهم في صعيد واحد وسألوا الله في لحظة واحدة كل يسأل بلغته ولهجته وكل يذكر حاجته لسمع أصواتهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت ولا لغة بلغة ولا حاجة بحاجة.

وعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما جاءت تلك المرأة المجادلة تجادل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زوجها وتشتكي إلى الله كانت ذكرت أنها تسمع بعض الكلام ويغيب عنها بعضه، وما أن انتهت تلك المرأة من مجادلتها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وينزل قول الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (سبحان الذي وسع صوته الأصوات) فإذا تأمل المسلم

ذلك وتأمل رؤية الله جل وعلا لخلقه يرى ﷺ جميع خلقه من فوق عرشه، يرى من فوق العرش ﷻ ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ولو كانت نملة على هذه الصفة واقتربت منها ما رأيته، يراها الله ﷻ من فوق سبع سماوات؛ بل ويرى جريان الدَّم في عروقها وكل جزء من أجزائها ﷻ، فيتأمل الإنسان رؤية الله له، ويتأمل علم الله به وإطلاعه عليه، فإذا حصلت هذه المعاني ووجدت في القلب وجدت التقوى، وإذا ضعفت هذه المعاني من القلب ضعفت التقوى، وإذا ترحلت هذه المعاني عن القلب ترحلت التقوى، ولهذا فإن أساس السعادة معرفة الله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته وعظمته وجلاله معرفةً صحيحة بعيداً عن معرفة أهل الأهواء والبدع كمن يحرف أو يعطل أو غير ذلك من المناهج الفاسدة، فهذه لا تقرب من الله بل تبعد منه، وإنما الذي يقرب من الله معرفة أسمائه وصفاته معرفةً صحيحةً على ضوء ما كان عليه أهل السنة والجماعة، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، هذا النهج المبارك الذي له أثر بالغ على الإنسان في عبادته وسلوكه وأخلاقه ومعاملته؛ لأن أساس السعادة معرفة الله، وإذا خدشت المعرفة بالتحريف والتعطيل وغير ذلك من المناهج العاطلة، فإن ذلك يؤثر على إيمان الإنسان وسلوكه.

ولهذا ترى المعطلة محرمون من الخير بهذا السبب، يأتي أحدهم إلى الآية التي تثبت الصفة لله فيقف عندها معطلاً ما دلت عليه، تراه يقف عندها ويقول لو أثبتنا لله كذا للزم كذا، ويدخل في متاهات التعطيل، ودروب التأويل والتحريف فتضيع عنه ثمرة الآية الإيمانية والعملية.

ولهذا صلاح الإنسان بمعرفته بالله جل وعلا المعرفة الصحيحة على نهج أهل السنة والجماعة - رحمهم الله - وتقوى الله جل وعلا ليست كلمة يقولها الإنسان بلسانه أو دعوة يدعيها، ولو كانت مجرد دعوى لكان من السهل على كل إنسان، ومن اليسير على كل لسان أن يقول: إني من المتقين أو إني من أهل التقوى، فهذا سهل على كل أحد لكن تقوى الله ﷻ تكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، القلب يتقي والجوارح تتقي، واللسان يتقي، فالتقوى تتناول ذلك كله، ودلائل ذلك كثيرة جداً في بيان أن التقوى تتناول ما يكون في القلب من اعتقاد وإيمان وما يكون في الجوارح من زكاء وأعمال وطاعات وقربات.

ومن الشواهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوءَ وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة]، فهذه خصال التقوى ولو تأملت الخصال

المذكورة في هذه الآية الكريمة لوجدتها على نوعين:

خصال تتعلق بالقلب وهذه في صدر الآية وأولها قال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَا كِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

وخصال هي أعمال تكون بالجوارح ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخره الآية.

فتقوى الله جل وعلا عقيدة بالقلب وعمل بالجوارح وليست مجرد ادعاء، وقد عرّف أهل العلم التقوى بتعاريف عديدة أجودها ما جاء عن طلق بن حبيب رحمته الله وهو من التابعين أنه قال: "تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله" فهذا أحسن ما قيل في حدّ التقوى.

وإذا تأملت هذا التعريف تجد أنه يتناول جانبين: جانب فعل المأمور، وجانب ترك المحذور، وفي كلّ منهما يُراعى العلم والبصيرة، ولهذا قال في فعل المأمور: "على نورٍ من الله"، وفي ترك المحذور أيضًا قال: "على نورٍ من الله"، والمراد بالنور: البصيرة الذي هو العلم النافع الذي يميّز به صاحبه بين الحق والباطل والهدى والضلال، "على نورٍ من الله"، وأيضًا يراعي الرجاء للرحمة والخوف من العذاب، وقوله: "رجاء رحمته، وخوف عقابه" هذا فيما قدمت الحديث عنه وهو معرفة الله المعرفة التي تورث في العبد الرجاء والخوف والمحبة والإقبال على طاعة الله وكل ما كان العبد بالله أعرف كان أعظم إقبالاً عليه وأشدّ محافظة على طاعته وخوفاً من عقابه ورجاءً لرحمته بحسب حسن وكمال معرفته بربه جل وعلا.

قال: (اتق الله حيثما كنت) هذا الأصل الأول.

والأصل الثاني: تتعلق بحال الإنسان مع نفسه، والإنسان بشر ... والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فالإكثار من الحسنات والمواظبة على الطاعات نفعه على صاحبه عظيم؛ لأن حسناته تذهب سيئاته، والمراد بالسيئات أي: اللّمْ الذي دون الكبائر، والكبائر لا بد فيها من توبة، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] الكبيرة لا بد فيها من التوبة النصوح إلى الله جل وعلا.

والتوبة النصوح التي تكفر بها الكبيرة هي حسنة؛ بل هي من أعظم الحسنات وهي داخلة في قول النبي صلى الله عليه وآله: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» والتوبة حسنة؛ بل هي حسنة عظيمة، وأعظم ما يمحو السيئات التوبة، فإن التوبة تجب ما قبلها إذا كانت توبة نصوحًا، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، فالتوبة النصوح التي تجتمع شروط التوبة تجب ما قبلها مهما عظم الذنب وكبر الجرم،

والله جل وعلا لا يتعاطمة ذنب أن يغفره، وهو القائل عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٦﴾ [الزمر]، «أتبع السيئة الحسنة تمحها» هذا فيه دعوة إلى الإكثار من الحسنات وتحاشي السيئات والبعد عنها؛ لكن الإنسان مهما حاول من التحاشي والبعد عن السيئات لا بد من الخطأ، كل بني آدم خطاء، ولما كان مركباً على الضعف والخطأ عليه وارد دُعي إلى الإكثار من الحسنات والإقبال على الطاعات، وتنويع النوافل والقربات؛ لأن هذه كل مكفّرات لسيئاته.

والسيئة تكفرها الحسنة كما سبق، وتكفرها التوبة النصوح، ويكفرها أيضاً المصائب التي يصاب بها العبد في هذه الحياة الدنيا ويحتسب ذلك عند الله، ولهذا قال ﷺ: على أصل المعاملة مع عباد الله كيف تكون، وأن قاعدة المعاملة مع الناس الخلق الحسن أن يعاملهم بالحسنى وبالمعاملة الطيبة الكريمة التي يحب أن يعامل هو بها، ولهذا صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي من الخير، وصح عنه عليه الصلاة والسلام في «صحيح مسلم» أنه قال: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه».

وهذان الحديثان، حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحديث: «أن يأتي للناس الشيء الذي يحب أن يؤتى إليه» هما من أحسن ما يكون في بيان الخلق الحسن ما هو، ومن أجمل ما يكون في إيضاحه، فالخلق الحسن يتناول في القلب محبةً للناس ما يحبه المرء المسلم لنفسه يحب لإخوانه ما يحب لهم، ويتناول جانب المعاملة القولية والفعالية بأن يعاملهم بالشيء الذي يحب أن يعامل به، قال: «أن تأتي للناس الشيء الذي تحب أن يؤتى إليك» وإذا ضبطت هذين الحديثين علماً وتطبيقاً فأنت من أحسن الناس خلقاً، ولتطبيق هذين الحديثين انظر إلى المعاملة في أي مقام ومع أي إنسان على ضوء الحديث.

ولنضرب على ذلك مثلاً:

لو كان من تريد التعامل معه أمك، فما الخلق الحسن مع الأم؟ أن تأتي إليها الشيء الذي تحب أن يؤتى إليك، يعني تصور لو أنك أنت الأم وهي الولد ما الذي تحب أن تعامل به، فالشيء الذي ترضاه لنفسك وتحبه لنفسك هو الخلق الحسن.

وهكذا في معاملتك مع قريبك وأخيك وصاحبك، ومع الباعة، ومع أي إنسان، الخلق الحسن هو أن تعامله بالمعاملة التي ترضاه لنفسك، وتحب أن تعامل بها، فإذا كنت تعامل المسلمين بما تحبه لنفسك وترضاه لنفسك فهذا هو الخلق الحسن، وينبغي عليك أن تلاحظ هنا أنك إذا عاملت الناس هذه المعاملة تُعاملهم بها لا على وجه المقايضة، وإنما على وجه التقرب إلى الله ﷻ، أما من يتعامل هذه المعاملة على وجه المقايضة والمطالبة بالمثل فإن خلقه هذا لا يمكث طويلاً، لأن الناس ليسوا سواء في الأخلاق وفي المعاملات، ولهذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: «إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني» ما قال له: اقطعهم، وإنما حثه على المواصله في ماذا؟ في الصلة، فليس التعامل بالحسن مع الناس على وجه المقابلة وإنما على وجه التقرب لله ﷻ وطلب ثوابه، وقد قال عليه ﷺ: «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» فهو يتعامل بالخلق الحسن والمعاملة الطيبة لتعلو منزلته، وترتفع درجته، وينال عظيم موعود الله تبارك وتعالى لأهل الخلق الحسن وأهل المعاملة الطيبة، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان]، يفعل ما يفعل من إحسان ولين ولطف وعطف ورحمة وإحسان ومعونة ومساعدة إلى غير ذلك من وجوه التعامل بالخلق الحسن يفعل ذلك كله تقرباً إلى الله ﷻ وطلباً لثوابه سبحانه. وعلى كل حال فهذا الحديث العظيم المبارك مشتمل على أصول المعاملة، قد كان وصية جامعة من النبي ﷺ لحبه معاذ بن جبل وأبي ذر رضي الله عنهما؛ بل هي وصية جمعاء لينالوا الخير والبركة وليكون دواعي أصول سليمة وأسس مباركة لعبادتهم لله ومعاملتهم لأنفسهم وملاحظة ما فيها من تقصير ونقص، وأيضاً في معاملتهم مع عباد الله.

الحديث الثامن عشر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» متفق عليه.

ثم أورد المؤلف رحمه الله هذا الحديث المتفق على صحته وفيه يقول النبي ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» وهو من جنس ما سبق أن الجزء من جنس العمل، وقاعدة الجزء من جنس العمل مضطردة في الإحسان والإساءة، وشواهد كما قدمنا كثيرة جداً، «الظلم ظلمات يوم القيامة» والله ﷻ لا يظلم أحداً ولا يقال: من ظلم يظلمه الله، لا يقال ذلك، فالله ﷻ لا يظلم الناس مثقال ذرة تنزهه تقدس وتعالى عن الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت]؛ ولكن من ظلم يعاقبه الله تبارك وتعالى على قدر مظلمته جزاءً وفاقاً، وعقوبته له تبارك وتعالى عدلٌ منه، وهو من عدله سبحانه، وكما أنه ﷻ من يحسن من فضله يشبهه

على إحسانه ويجازيه عليه عظيم الجزاء، ومن يظلم يعاقبه الله ﷻ عدلاً منه وتفضلاً وعقوبة الله ﷻ للظالم ليست ظلماً والله منزّه عن الظلم، وإنما هي عدل، عدل من الله جل وعلا، والله ﷻ يأمر بالعدل ويجازي عليه وينهى عن الظلم ويعاقب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].

والحديث فيه التحذير من الظلم، والظلم كله قبيح وكله ذميم، وليس في الظلم ما هو حسن، ولهذا حرم الله ﷻ الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، قال في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» فالظلم كله قبيح وكله ذميم، وليس في الظلم ما هو حسن، والله جل وعلا متنزّه عنه، ونهى عباده عنه وحرّمه على نفسه، ونهى عباده عن الظلم والتظالم، ورتّب جل وعلا على الظلم أليم العقاب وشديد العذاب في الدنيا والآخرة، على قدر ظلم الإنسان، والظلم ليس حجمه واحد، وهو في الجملة يرجع إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى من الظلم: وهي أخطر الظلم وأشدّه وأسوءه وأقبحه على الإطلاق، ألا وهو الشرك بالله ﷻ، فالشرك بالله أظلم الظلم وأشنعه وأقبحه، وليس في الظلم ما هو أشد منه، والظلم حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، وأظلم الناس من جعل العبادة التي هي حق الله ﷻ الذي لا شريك له فيها نجعلها لغيره ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولهذا أظلم الظلم الشرك والكفر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة]، هذا أشد الظلم، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر]، فهذا ظلم الشرك، وهو أشد الظلم وأقبحه وأنكاه ومن مات على هذا الظلم عقوبته يوم القيامة الخلود في نار جهنم أبد الآباد، لا يغفر الله له، قال الله تعالى في الآية التي ذكرت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر]، وهذا الظلم، وقال الله تعالى عن هذا الظلم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام] قال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ والمراد بقوله يلبسوا: أي يخلطوا، أي آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم، وهذه الآية لما نزلت شق أمرها على الصحابة وجاءوا على النبي ﷺ وقالوا: (يا رسول الله؛ أينما لم يظلم نفسه) وظنوا أن المراد ظلم النفس بالتقصير في الطاعة أو بالوقوع في المعصية، قالوا: (أينما لم يظلم نفسه) قال عليه الصلاة والسلام: «ليس

ذاك، أما قرأتم قول العبد الصالح - يعني لقمان - ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان] ففسر قوله عليه الصلاة والسلام قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] بالشرك، والمعنى: أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك، وذكر قول الله تعالى فيما ذكر عن لقمان: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان] فالشرك أظلم الظلم، ومن مات مشركاً لا يطمع في مغفرة الله ولا ينجو من عقابه، ويكون في نار جهنم أبد الآباد لا يقضى عليه فيموت، ولا يخفف عنه من عذابها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولهذا يجب على الإنسان أن يخاف من الظلم وأن يحذر منه وأن يخاف من أظلم الظلم الذي هو الشرك بالله ويسأل الله ﷻ أن ينجيه منه وانظر في هذا دعاء إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم] يسأل الله أن ينجبه هذا الظلم، قال: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّيَّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم]، قال بعض السلف: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم" إذا كان إبراهيم خاف وسأل الله ﷻ الوقاية والنجاة، فيجب على الإنسان أن يخاف من هذا الظلم، وأن يحذر منه، وأن يسأل الله ﷻ أن يعيذه من الوقوع فيه، وقد وجه عليه الصلاة والسلام الأمة إلى مراعاة مثل هذا الدعاء كما جاء في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام: «للشرك فيكم أخفى من ديب النمل»، قالوا: أوليس الشرك أن يجعل لله نداً وهو الخالق؟ قال: «والذي نفسي بيده للشرك فيكم أخفى من ديب النمل»، ثم قال: ألا أدلكم على شيء إذا قلتموه ذهب عنكم قليل الشرك وكثيره؟ ثم وجه عليه الصلاة والسلام أن يقال: «الله إني أعوذ أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفر لك لما لا أعلم» وثبت عنه ﷺ أن يقول والحديث في «الأدب المفرد» للإمام البخاري بسند حسن أنه يقول كل يوم في الصباح والمساء «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكفر، ومن الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر» يقولها ثلاث مرات في الصباح وثلاث مرات في المساء، فالشرك والكفر هو أعظم الظلم وأشدّه، ويجب على المؤمن المسلم النَّاصِح لنفسه أن يحذر منه وأن يخشاه ويتعد عنه وأن يكون في جانب بعيداً عنه، قال: ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾ يعني في جانب بعيد عنه ويحذر منه غاية الحذر.

وأما النوع الثاني من الظلم: فهو ظلم الآخرين، والتعدي على أموالهم أو أعراضهم أو حقوقهم أو ممتلكاتهم، ويجمع ذلك ما جاء في الحديث الذي قاله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع في خطبته الشهيرة، قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في هذا في بلدكم هذا في

شهركم هذا» فالتعدي على أعراض الناس أو على أموالهم أو على أشخاصهم أو على حقوقهم كل ذلك ظلم، وهذا ظلم للآخرين، ومن اغتصب شبراً من أرض طوقه أو من فوق سبع أراضي كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ، فالذي يظلم الناس بالتعدي على حقوقهم أو أموالهم أو غير ذلك الأموال ولا بأنواع الممتلكات، لأن كل ذلك ينتهي في الدنيا، وإنما يكون بالحسنات والسيئات، وتأملوا ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في «الأدب المفرد» وفي «خلق أفعال العباد» ورواه غيره من أهل العلم وهو حديث حسن قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن الله، قال عليه الصلاة والسلام: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة بهُما»، قال الصحابة: وما بهما يا رسول الله؟ أي ليس معهم من الدنيا شيء، لا أموال ولا تجارات ولا مزارع، ولا أي شيء، أي ليس معهم من الدنيا ولا شيء، لا رئاسات ولا شيء، كلها تنتهي؛ بهما، قالوا: وما معنى بهما يا رسول الله؟ قال: «أي ليس معهم من الدنيا شيء، ثم يناديهم بصوت» أي: الله عز وجل يناديهم «بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول: (أنا الملك أنا الديان)»، الملك معروف، والديان أي: المجازي المحاسب ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] الذي يحاسب عباده ويجازيهم يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب يقول: «أنا الملك أنا الديان»، ثم يقول سبحانه: «لا ينبغي لأحد» وانظر إلى خطورة الظلم، ثم يقول سبحانه: «لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصها منه»، «ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، ولا لأحد من أهل الجنة عليه مظلمة حتى أقتصها منه»، فتقتص المظالم حتى إنه من كمال عدله يقتص للبهائم البهائم البهيمة الجدعاء من البهيمة الجمعاء أو القرناء الجماء يقتص لها إذا كانت نطحتها يقتص للبهيمة الجدعاء من البهيمة الجمعاء أو التي لها قرون يقتص لها وهذا من كمال عدله ﷺ.

فالمظالم كلها تُقتص يوم القيامة، قال الصحابة وهو من كمال حرصهم لما سمعوا النبي ﷺ يقول ذلك قالوا: يا رسول الله ﷺ وكيف ذاك وهم إنما جاءوا بهُما أي كيف يكون الاقتصاص ما فيه أموال معهم ولا تجارات ولا رئاسات ولا أي شيء، فكيف يكون ذلك وهم إنما جاءوا بهما، قال عليه الصلاة والسلام: «بالحسنات والسيئات» هكذا يكون الاقتصاص بالحسنات والسيئات.....

يوضح قوله عليه الصلاة والسلام: «بالحسنات والسيئات» الحديث الذي قال فيه ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» لما قال للصحابة: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس من لا درهم له ولا دينار فقال ﷺ: «إنما المفلس من يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيؤخذ من

حسناته فيعطون حتى إذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرح عليه فطرح في النار» هذا هو الإفلاس الحقيقي، ولهذا الظلمة يأتون يوم القيامة مفاليس لأنهم يفلسون من الحسنات، حسناتهم تؤخذ وإذا فنيت الحسنات أخذ ومن سيئات من ظلموهم، وهذا بالغ في الخطورة ثم يزج بمن كانت هذه حاله نسأل الله ﷻ العافية والسلامة يزج به في النار، لذا يجب على الإنسان أن يتقي ظلم الناس وأن يتذكر قول النبي ﷺ في الحديث الذي أورد المصنف «الظلم ظلمات يوم القيامة» وهذا جزاء له من جنس عمله أن ظلمه يكون عليه ظلمات يوم القيامة، ومفهوم المخالفة: أن عدل الإنسان يكون نوراً له يوم القيامة عدله وإحسانه وإنصافه يكون نوراً له يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحریم: ٨]، فهذا شأن أهل الإيمان فالظلم ظلمات يوم القيامة ووبالاً على صاحبه.

النوع الثالث من أنواع الظلم: ظلم الإنسان لنفسه في مادون الشرك والكفر بالله ﷻ فيما دون الشرك والكفر بالله، يظلم نفسه بالتقصير في بعض الطاعات التي ليس فيها تعدي على الآخرين. فهذه أنواع الظلم الثلاثة وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «دواوين الظلم يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يتركه الله، وديوان لا يعبأ الله به» ثم بين ذلك. قال: «الديوان الذي لا يغفره الله الشرك.

والديوان الذي لا يتركه الله ظلم العباد بعضهم لبعض حتى يقتص للمظلوم من ظالمه. والديوان الذي لا يعبأ الله به هو ظلم العبد لنفسه فيما دون ذلك».

فهذه دواوين الظلم يوم القيامة، والعبد عليه أن يحذر الظلم كله، وأن يتحاشاه، وأن يبتعد عنه، وأن يتذكر في كل مره يخرج فيها من بيته خطورة الظلم، وأن يتعوذ بالله من ذلك، ولهذا ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان في كل مرة يخرج من بيته يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» في كل مرة يخرج من بيته يتذكر هذه الأمور وتكون نصب عينيه ويسأل الله جل وعلا أن ينجيه منها وأن يقيه من الوقوع فيها.

ونسأل الله ﷻ أن يحفظنا وإياكم بحفظه، وأن يعيذنا وإياكم من الظلم، وأن يهدينا سواء السبيل وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.